



لأشك أن هناك نوعاً من الحب للآخر ينشأ من محبتنا لذواتنا. ويحدث هذا عندما يكون أول ما يجذب محبتنا لشخص ما هو بعض الفوائد أو الهدايا التي يعطيها لنا. في هذه الحالة تكون محبة الذات هي أصل المحبة للآخر بكل تأكيد. إن الأمر يختلف تماماً عندما يكون المبعث الأول لاجتذاب محبتنا للآخر هو تقديرنا لصفات فيه تكون طيبة ومحبوبة في حد ذاتها. لأشك أن هناك نوعاً من الحب للآخر ينشأ من محبتنا لذواتنا. ويحدث هذا عندما يكون أول ما يجذب محبتنا لشخص ما هو بعض الفوائد أو الهدايا التي يعطيها لنا. في هذه الحالة تكون محبة الذات هي أصل المحبة للآخر بكل تأكيد. إن الأمر يختلف تماماً عندما يكون المبعث الأول لاجتذاب محبتنا للآخر هو تقديرنا لصفات فيه تكون طيبة ومحبوبة في حد ذاتها.

إن المحبة لله التي تنشأ أساساً من محبة الذات ليست محبة روحية في طبيعتها. إن محبة الذات هي مبدأ طبيعي مجرد، إنها موجودة في قلوب الشياطين كما هي في قلوب الملائكة. إذن محبتنا لله لا يمكن أن تكون شيئاً روحياً إذا كانت تنشأ عن محبة الذات وحسب، فيقول المسيح عن هذا في (لوقا: 6: 32) "وإذا أحببتهم الذين يحبونكم فأى فضل لكم؟ فإن الخطاة يحبون الذين يحبونهم". إن أعرق سبب لحب الله هو روعة وسمو طبيعة الله، هذا هو السبب المعقول الذي يمكن تصديقه. فإن أهم ما يجعل شخصاً ما أو مخلوقاً ما محبوباً هو روعته، وهذا ما ينطبق أيضاً على الله. فطبيعة الله متناهية الروعة والجمال والبهاء والمجد. وكيف نحب روعة الله وجماله إن كنا لا نحبه لذاتها. إن الذين يبذرون حبهم لله على انتفاعهم منه إنما سلكوا المسلك الخاطئ. إن اعتبارهم لله يكون من منطلق منافعهم الشخصية فقط. إنهم فشلوا في تقديرهم للمجد الفائق لطبيعة الله، تلك الطبيعة التي هي مصدر كل صلاح وكل روعة. إن المحبة الطبيعية للذات يمكن أن تنشأ مشاعر كثيرة نحو الله والمسيح لكن دونما تقدير لروعة ومجد الطبيعة الإلهية، فمحبة الذات تنشأ شكراً طبيعياً مجرداً لله.

هناك أناس تنشأ محبة الذات عندهم نوعاً من المحبة لله بسبب البركات المادية التي يأخذونها منه. وفي هذا لا يوجد شئ روحي. وإذا سألت هؤلاء الناس إن كان الله محبوباً بسبب روعته هو، فإنهم قد يجيبوا بالإيجاب. والحقيقة أن رأيهم المطيب في الله كان سببه البركات العظيمة التي تخيلوا أنهم أخذوها منه. إنهم يقبلوا بأن يكون الله محبوباً لذاته فقط لأنه سامحهم، وقبلهم، ويحبهم كثيراً، ووعدهم بأن يأخذهم للسماء. إنه من السهل عليهم أن يحبوا الله ويقولوا إنه حلوا عندما يعتقدون هذا الاعتقاد. فكل شئ حلوا للشخص الأذاني طالما يقدم له النفع الشخصي.

لكن الحب الروحي لله ينشأ في المؤمنين بطريقة مختلفة تماماً. إن المسيحيين الحقيقيين لا يروا أن الله يحبهم، ثم بعد ذلك يكتشفون أنه حلوا. إنهم يرون أن الله حلوا أولاً وأن المسيح رائع ومجيد. إن قلوبهم تؤسر أولاً بهذه الرؤية لله، ومحبتهم لله تنشأ أساساً من هذه الرؤية.. إن الحب الحقيقي يبدأ بالله ويحبه لذاته، ولكن محبة الذات تبدأ بالذات وتحب الله لمصلحة الذات.

جوناثان إدواردز

من كتاب: "العدوى الدينية"

ص 75 - 77

إني أحب الرب لا لأربح المنعم  
ولما لكي أنجو من العذاب في المجيم  
لكن أحبه لأن لي حبه يحلو  
وهو الذي من فضله أحبني قبل  
"من نظم المزامير"

"إنه بإمكاننا أن نختبر أشواقنا للسماء بهذه القاعدة: هل نريد أن نكون هناك لأجل جمال قداسة الله التي تشع هناك؟ أم أن اشتياقنا للسماء مبني على مجرد اشتياق للسعادة الأتانية؟

"جوناثان إدواردز - ص 82"

ملخص، لفحص النفس (فكر في كل سؤال على حدا بهدوء وتأنى):

- 1- هل نحب الله شخصياً (لذاته)، أم نحبه لأنه سيأخذنا إلى السماء؟
- 2- إذا كنا نحب الله شخصياً (لذاته)، فهل ينصب جل غايتنا وسعينا على أن نعرفه ونكون في شركة عميقة معه، أم على أن نضمن الذهاب إلى السماء؟
- 3- إذا كنا نحب الله شخصياً (لذاته)، هل يهمننا ويشغلنا أكثر أن يكون روح الله حي في داخلنا ويقوم بعمله في أن يقودنا إلى معرفة

الله معرفة شخصية عميقة بحيث تكون العلاقة بيني وبين الله مستمرة وغير منقطعة (كسريان التيار في الدائرة الكهربائية)، أم يهمننا ويشغلنا أكثر أن نضمن أن روح الله لن يفارقنا مهما انطأ بداخلنا بحيث لا نقلق بشأن ضماننا الأدبي وإن كانت العلاقة معه متوقفة حالياً؟

4- هل نستطيع أن نجد الله أو أن نعرضه أو أن نكُون علاقة شخصية عميقة متبادلة ومستمرة معه إذا ما كان روحه منطفئ في داخلنا؟

5- هل نعرف الله (الذي نحبه لذاته) معرفة شخصية عميقة ولنا علاقة حميمة وعميقة متبادلة ومستمرة معه، أم نؤجل ذلك لحين نذهب للسماء؟

إلهي

إن كنت أحبك طمعاً في النعيم فأحرمني منه  
وإن كنت أحبك خوفاً من المجحيم فأرسلني إليه.  
"من التراث الصوفي"